ملاحظات
فى سيكولوجية هتلر (١)

لن يجد السيكولوجى الخبير أية مشقة أو صعوبة فى حالة هتلر . بل سيجدها مشابهة لمئات الحالات التى يشهدها ، وسيتبين عندئذ أن علة الخلط والتهويش إنما تكمن فى تضخم صفات الرجل وانفعالاته . ولنبدأ بتقرير بعض المبادئ السيكولوجية التى يتيسر فهمها للرجل العادى ، وهى لا تختلف فى شىء عما يرد ذكره فى المراجع السيكولوجية الأكاديمية ؛ وللقارئ من بعد ذلك أن يقرر بنفسه إلى أى حد تتمشى هذه الأوصاف مع شخصية هتلر .

من المصطلحات الشائعة لدى الأطباء العقليين المحدثين اصطلاح «النزعة الانفصامية» schizothymia. وهو مقولة تنطبق على مجموعة من الناس متماثلين فى أمزجتهم وكثير من خصالهم ؛ ومن ثم فهم يجمعون تحت عنوان واحد ، إلا أنهم — وهذا ما لا نستطيع المغالاة فى توكيده — أسوياء بكل ما لهذه الكلمة من معنى ولا يبدو عليهم أية بادرة مرضية. فالقول بأن فلانا «ذو نزعة انفصامية» schizothymic لا يتضمن مدحاً ولا قدحا ، فلا هو بالاضطراب ولا هو بدليل على الصحة ؛ ولكن يقال إنه انفصامى النزعة ، بنفس الطريقة التى يقال بها إنه متفائل أو متشائم .

فأى نوع من الأشخاص ، إذاً ، هذا الانفصامى (وضده التآلفى cyclotheme) ؟ « الشخص الانفصامى بارد ومتحفظ ، فهو يعرف كيف يحفظ على نفسه خط الرجعة . ويتخذ لنفسه الكثيرين من المعارف ، ولكن قلما بل ولن يكون له أصدقاء حقيقيون فهو من النوع النافر . ولن تصدر عنه أية إشارة تدل على استجابة وجدانية عميقة أو استعداد للتضحية . فإذا ما استلفت نظره إلى حالة تحتاج إلى معونته ، فإنه يرثى لها فى أدب جم ، ولكن لن يخطر بباله أن يساعدها .

(١) مقتبسة من كتاب "Discretion & Indiscretion" تأليف الدكتور لودفيج لنتس Dr. Ludwig L. Lenz نشر دار المعارف — القاهرة ١٩٥٠ ص ٤٥٧ — ٤٦٧.

« وللانفصامى ذوقه الجمالى وأسلوبه الشخصى ، ولكنه بوجه عام عاجز عن ممارسة المتعة العميقة . وإذا دعيت إلى تناول العشاء على مائدته ، فخير لك أن تأكل قبل الذهاب لأن المأدبة سوف تكون اسبرطية أكثر منها رومانية ....

« ومن مميزات الانفصامي أيضاً صلفه. فلنفسه الأعتبار الأول فى كل ما يفعل؛ ولن يتراءى له أبداً أن يحاول إسعاد الآخرين .

« نفسه تملك عليه كل السبل ، وفى كل شىء يجب أن يكون هو متقدماً عمن سواه ، أما عمله فلا يمكن أداؤه خيراً مما أداه هو ، وكل شخص سواه غبى أحمق .

« ويلاحظ أن المنفصم مفكر واضح ومنظم منتظم . والطاقة التى يتابع بها موضوعه وما يبديه من صرامة ، يقودانه غالبا إلى النجاح . وهو لا يرى الأشياء التى لا يحب أن يراها ؛ فباستطاعته أن يحد مجال رؤياه ، كما أنه ينحى جانبا أى شىء لا يناسب تصميمه . ومن ثم يفارق هذا الشىء مجال شعوره .

« والانفصامى المثقف تغريه فلسفة نيتشة الفردية التسلطية . ولما كان عاجزا عن أن يرى مواضع الصلة بينه وبين سائر القوم ، ولكنه متنبه لمواضع الاختلاف والتباين فقط ، فإنه يرفض حتما كل نوع من الغيرية ، بل إنه ليرى الغيرية ضعفا يؤذى وينبئ عن انحلال . ولكن على الرغم من تماسكه المنطقى بوجه عام ، فإنه إذا اضطرته حاجاته الشخصية ، على استعداد لأن يناقض نفسه — لأن صلفه هو خصلته الكبرى . فقد ينبئك يوما أنه وفق إلى مسكن رائع ، فردوس ما بعده فردوس ؛ وفى اليوم التالى ، إذا اضطر لأى سبب من الأسباب أن ينتقل إلى مسكن آخر ، فإنه ينبئك عندئذ أن هذا الأخير إنما هو الكمال بعينه ولا يمكن مقارنته بالأول . أما ثناؤه العريض الذى انطلق به أمس فقد نسيه اليوم ببساطة — لقد أبعده عن ذهنه .

« والانفصاميون فى أغلب الأحيان ذوو أطوار غريبة فهم أميل إلى الابتعاد وهم دائماً شديدو الحساسية ذوو طبع حاد ، فطرازهم هو الطراز الذى يهاجمك لأتفه الأسباب ...

« وثمة أنواع كثيرة من الخصائص الصغرى التى يمكن بواسطتها تمييز المنفصمين والتعرف عليهم فى الحياة اليومية . فكلنا نعرف مواضع عبور المشاة المنتشرة فى المدن الكبرى ، والتى يبرزونها فى الطرقات بواسطة خطوط بيضاء أو علامات معدنية فإذا اقتربت سيارة من هذه المواضع فإنها تبطىء

حتما ، إلا أن العابر عندما يرى السيارة يسرع فى سيره . لأنه على كل حال يعوق السائق . هذه هى القاعدة والجميع ينظرون إليها كأمر عادى . لكن العابر الانفصامى يتصرف بطريقة أخرى ؛ فهو يصر على إبراز حقوقه ، ويعبر عنها بأن يجتاز الطريق بكل ما أمكنه من بطء حتى لقد تضطر السيارة إلى التوقف . ولا يخطر بباله أبداً أن العبور من حق الطرفين وأنه لذلك ينبغى للطرفين أن يتهادنا ؛ فهو يمضى كما يتفق وهواه .

«ويبدو الفارق بين موظف انفصامى وآخر تآلفى ، يبدو بوضوح فى هذا الحدث الذى وقع فى مصنع غذاء حديث الإنشاء . فقد مضى الرجلان يتفقدان المنشآت الوقائية ، وكان أحدهما مسئولا عن الطابق الأرضى وكان الآخر مسئولا عن الطابق العلوى . وكان تصميم كلا المنشأتين واحداً . وبالتالى فقد أثيرت بخصوص الطابقين نفس الاعتراضات ، ومؤداها أن دورات المياه ليست منعزلة عن بقية الحجرات بما فيه الكفاية . فقدم التآلفى اعتراضه على الوجه التالى : « يؤسفنى ألا أستطيع التجاوز عن هذا المأخذ : فدورة المياه يجب عزلها عن سائر الغرف بأية طريقة . على أننى أظن أن نقل الباب إلى هذا الجانب يمكن أن يحقق لنا ما نريد » . أما الانفصامى فقد قال : « هذا لا ينفع ؛ يجب تغييره . ويجب تنفيذ ذلك فى خلال أسبوعين وسآتى عندئذ لأتفقد الأمور ثانية » .

« وهكذا قضى الأمر . وقد أخبرنى صاحب المصنع أن هذا الموظف لابد وأنه مسرور بالطريقة التى يؤدى بها واجباته . وإذا توخينا الحق ، فإنه على صواب . إلا أن هاتين الطريقتين فى القيام بشئون الوظيفة الواحدة يدلان على نظرتين مختلفتين تمام الاختلاف . فقد أدى الموظفان واجبهما ، أحدهما بهدوء وبطريقة بيروقراطية ، والآخر بكرم وبروح إنسانية .

«وهكذا يكون الانفصاميون : فقد يكونون أخياراً أو أشراراً ، مجدين أو حمقى ، يحملون فى نفوسهم الخصال التى ذكرتها بدرجات متفاوتة . لكنهم يظلون دائماً انفصاميين . ويجب أن أكرر هنا القول بأن هؤلاء الأشخاص ليسوا من المرضى العقليين ، بل هم من نفس الصنف من الناس الذى نلقاه فى حياتنا اليومية — وهم يؤلفون حوالى عشرين فى المائة من الجماعة .

« والأشخاص ذوو النزعة الانفصامية بأية درجة تستحق الذكر ، معرضون لتعقيدات تبزغ من المناطق غير المستقرة فى ما تحت الشعور ، لا سيما إذا كانوا

عصابيين شديدى الحساسية . وقد تؤدى هذه الحال ، فى أشخاص من هذا الطراز ، إلى تحميلهم بفكرة ثابتة وحصار . ويتقدم هذا الحصار شيئاً فشيئاً حتى يملك على الشخص سبل حياته جميعا ويصبح القوة المحركة فى هذه الحياة . فهو يمتص طاقة الفرد عن آخرها ، وذلك بتركيز الإرادة نحو هدف واحد معين ، وبذلك يحدث أحيانا أن يتمكن الفرد من الحصول على أعظم النتائج فى جميع المجالات ، سواء فى مجال الحب والسياسة ، والعلم والجريمة . وقد كان مخترع ما يسمى بوجبة جيرسون Gerson diet مثلا ، التى يمكن بها شفاء اللوپس وأنواع أخرى من السل ، وهو الدكتور جيرسون كاسل Dr. Gerson of Kassel ، كانت تتسلط عليه فكرة منذ كان شابا فى مقتبل العمر ، ومؤداها أن يتمكن من شفاء الأمراض بتنظيم وجبة فقط . ولذلك فقد جرب أكثر التركيبات خروجا على الإمكان وذلك فيما كان يقدمه إلى مرضاه من طعام ، وعذبهم بفرض الكثير من قواعد الوجبة حتى تخلوا عنه ، وأخيراً ، وبعد خمس عشرة سنة من الفشل والزراية ، توصل إلى اكتشافه . وهكذا قد يكون الحصار الذى أحسن توجيهه ، من أقوى القوى الحافزة للنشاط الإنسانى . ولكن ، كما هى الحال فى الانفصام العادى ، يحدث أحيانا ألا يقتصر أمر الحصار على استبعاد العوامل المناوئة — ولكن قد يمتد أثره حتى يصل إلى تزييف الذاكرة . وهذا هو السبب فى أن ذوى الأفكار المتسلطة لا يمكن الأخذ بشهادتهم فى المحاكم ؛ وهم لا يختارون الكذب ، إلا أنهم تحت تأثير فكرتهم الثابتة يرون كل شىء فى ضوء مغاير ؛ فهم يدركون الأمر على نحو آخر ويستنتجون منه نتائج تلائمه... والخلاصة أن ذوى التثبيتات ليس لديهم فكرة عن الحق الموضوعى ؛ وفى رأيهم أن الحق الأوحد هو ما يخدم غرض تعقيداتهم . »

على هذا الأساس ، أكاد أكون على يقين من أن القارئ سوف يتفق معى على أن هتلر ينتمى إلى هذه المقولة ، فهو انفصامى محصور . خذ كل ما قيل واقتبس فى المراجع العلمية ، وضخمه وأصبغه بصبغة سياسية وستحصل عندئذ على الأنانى بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، وعلى المدبر الهادئ ، وعلى المستبد الذى لا رحمة عنده ، ستحصل على الزعيم الذى فوق البشر . ومثل هذا الرجل لا يبدى أى أثر للصراحة ، أو حب الزمالة ، أو توفير الراحة ، أو الإحساس بالشفقة ، وما إلى ذلك من استعدادات طبيعية لدى التآلفى .

لن تجد لدى الانفصامى شيئاً من هذه الصفات — هذه الصفات التى اعتبرها الجنس البشرى أنبل ما لديه منذ استطاع الناس أن يسيطروا على غرائزهم الحيوانية — أعنى المشاركة العميقة وفهم موقف الغير والإنسانية . إنما هو تابع أمين لماكيافيلى Machiavelli ، يشغل باله شيئان لا ثالث لهما ؛ القـوة والمجد . وهو عاجز عن أن يرى ما سببه من آلام فى العالم أجمع ، بما فى ذلك ألمانيا ، ومع أنه قد يبدى أسفه على الألمان الذين قتلوا فى المعارك ، فإنه لا يفعل ذلك بسبب تفكيره فيمن هم باقون على قيد الحياة بل لأن هناك من تجرأ فقتل جنوده . والفكرة المتسلطة عليه هى البرنامج القومى الذى لا ينظر إلا من زاوية واحدة ، فمن أجله يخرق المواثيق ويشوه الحقائق ، ويستعبد الشعوب ويدير ساعة المدنية إلى الوراء .

وقد نسج هتلر نظرية حول انحطاط اليهود وجبنهم . فكان إذا قدمت له أمثلة تثبت العكس مثل أينشتين Einstein أو إرليخ Ehrlichأو وازرمان Wassermann أو هابر Haber يعمد إلى تغيير الموضوع ...

ومناقشته عبث لا فائدة منه . فهو يجيبك ما دام فى إمكانه الإجابة ؛ أما إذا اتجهت المناقشة وجهة لا تلائمه ، فسرعان ما يبترها . وهو فى ذلك يشبه روبسپير Robespierre وكالڤن Çalvin ، وكانا متعصبين ذوى نزعة انفصامية — كذلك كان هتلر محصوراً وأعمى .

والانفصام خاصية فطرية ، أماالحصار فتمتد جذوره فى الجنسية الفطرية لدى الفرد — وتلك آراء إرنست كرتشمر E. Kretschmer السيكولوجى النمساوى العظيم .

« فثمانون فى المائة من الأفكار الثابتة لها علتها الجنسية . وقد أوضحت فى موضع آخر أنه ليس بالأمر الشاذ أثناء البلوغ أن تظل الرغبة الجسمية والشبق الذهنى منفصلين وأنه إذا لم يتم الامتزاج السوى لهذين الشكلين من أشكال التعبير الجنسى ، فقد ينجم عن ذلك وجود صدع يمتد ما امتدت حياة الفرد . فإذا اتجهت الرغبة الجنسية وجهة مرضية (من خلال العادة السرية أو القلب perversion) ، فأمر هذا الصدع يكون أخطر . فتجد العناصر الذهنية فى الحب تلك التى تتطلب الإعجاب العميق والحنين الأفلاطونى تطرد الحوافز الجسمية غير المهذّبة ، والمنحرفة أحيانا ، وتحاول أن تقمعها وتتسامى بها ؛ وهذه الآلام التى يسببها الضمير تؤدى إلى ظهور حصار بمثابة منفذ للغرائز

الجنسية الظامئة . إنه الحصار الذى يقوم وراء الدعاة ومؤسسى الشعائر وأبطال الحرية فى الشعوب المظلومة ، أولئك الذين قلما وجدنا بينهم من يحيون حياة جنسية سوية سواء مطلقا . »

فإذا أردنا أن نطبق هذا الوصف الموجز على حالة هتلر ، وجب علينا أن نبرهن أولا على أن حياة الفوهرر الجنسية لم تكن سوية ، ومن الجلى أن هذا ليس بالأمر الهين إذ أنه يندر أن يوجد من يذيع أمر حياته الجنسية بين الناس . ولكن على الرغم من ذلك فثمة سمات معينة يستطيع بواسطتها الخبير أن يصل إلى رأى حاسم .

فبينما نجد كتاب هتلر « كفاحى » مكتوباً بأسلوب عارم ولكنه مستو ، نجد فيه فصلا ناشزاً — وهو الفصل الخاص بالأمراض السرية . إذ يصبح هتلر فى هذا الفصل منفعلا فيبدى فصاحة هائلة وحماساً دفيناً . فلم هذا الانفجار وهذه العناية التى تسترعى الانتباه ؟ حقا إن للزهرى نتائجه بالغة الخطورة ، وأنا آخر من ينكر ذلك ، ولكن فى الوقت الذى كتب فيه هتلر هذا الفصل كانت سموم هذا المرض قد تضاءل مفعولها بشكل ملحوظ بفضل اكتشافات بول إرليخ ووازرمان ، وكان عدد المصابين به آخذا فى التضاؤل عاما بعد عام . ولكن على أية حال ، لا شك أن هناك موضوعات أخرى تفوق هذا الموضوع أهميـــة بالنسبة للمشتغل بالسياسة . فلماذا يضفى عليه هتلر كل هذه الأهمية ؟

إن لدى العلم تفسيراً لهذا الموقف أيضاً . فالمعتاد أن يكون الرجع الذهنى المتضخم نتيجة لبقعة حساسة فى الشخصية التى لمسناها ؛ فإذا لمسنا هذه البقعة الحساسة ، فإن صاحبها يتألم ويثور . ونستطيع أن نستدل على قوة الحصار من شدة الرجع . وبعبارة أخرى نقول إن الجنس نقطة ضعف فى كيان هتلر ويمكن القول بأنها تخفى ميولا مرضية .

وثمة سمة أخرى لانحراف الكيان الجنسى لهتلر هى طبيعة بيئته . إن الطيور على أشكالها تقع ، والمنحرف بوجه خاص يسعى نحو رفاق يستشعر بينهم الألفة والقرابة . ويتجمع هؤلاء الأفراد أحيانا بدافع الغريزة . وقد قصدت ذات يوم إلى وزارة العدل للمطالبة بحق من حقوقى فراعنى ما شهدته من صغر قامة العاملين هناك ورقتهم الشديدة ، لا سيما الكاتبين على الآلة الكاتبة ؛ ...

ولكنى سرعان ما اكتشفت علة هذا الوضع عندما عرفت المسئول عن تنظيم هذا الفرع ، فقد كان أحد معارفى القدماء وكان من مَرْضى المعهد ، وكان يتظاهر بالروح الرياضية فيرتدى سراويل قصيرة وقميصاً مفتوحاً عند الرقبة بينما يطلق عليه أصدقاؤه اسم « الفتى » . وعند ما قابلته بعد ذلك ، أخبرته بأننى رأيت أولئك الأشخاص الصغار الذين اختارهم ، وعندئذ أجابنى بصراحة : « هذه أول مرة أسمع مثل هذه الملحوظة — ولكنى أؤكد لك أننى فى اختيارى هؤلاء الموظفين لم تكن تحركنى سوى اعتبارات موضوعية ، ولذلك فلا بد أن هذا الأمر جاء مصادفة » . ولكنها لم تكن مصادفة طبعاً ، إنما هى تكشف عن كيف أن الانحراف قد يؤثر فى الجو المحيط بالشخص بطريقة لاشعورية . وفى حالة هتلر ، قلما كنا نجد فى أصدقائه المقربين شخصا سويا . وقد كانت هذه الحال أكثر وضوحاً فى بواكير حياة النازى ، حيث كان هتلر يتنقل بين جماعات من المنحرفين فحسب . ولا يستطيع الشخص السوى ، أن يستريح لرفقة مثل هؤلاء الصحاب مدة طويلة ، أما إذا كان منهم فلا ضير عليه . ومن يعش فى الظلام يكون فى الغالب مجرماً ، ومن يقصد إلى مصاحبة المنحرفين يكون فى الغالب منحرفاً .

ففى عام ١٩٢٩ جاءنا فى معهدنا الخاص بالبحوث الجنسية ببرلين شاب ذو صلة وثيقة بروهم Roehm . وكان يحدثنى من حين لآخر عن جماعته التى لم نكن نعتبرها ذات خطر فى تلك الأيام ، وقد ذكر فى حديث عابر اسم أدولف هتلر ، قائلا « إنه أكثرنا انحرافاً ، ولكنه يقوم الآن بدور الذكر الغلاّب » .

ونحن لا نعرف إلا النذر اليسير عن علاقة هتلر بإيفا براون مما لا يمكننا من الحكم على دلالتها ، ولكن إذا نظرنا بعين الفاحص المدقق فى المقالات التى نشرت فى هذا الصدد ، فإننا ننتهى ، بشىء من التحفظ ، إلى أن علاقة هتلر بالنساء لم يكن يتخللها الحماس ، وربما كانت أفلاطونية فحسب . أما صديقات الفوهرر الأخريات فقد كن فى الغالب من طراز مذكر (لينى ريفنشتال) أو متقدمات فى السن (مثل فراو ب . ، فراو ف .) أو نجد الصداقة تنتهى فجاءة وبطريقة تمثل بدقة ما يحدث عندما يكشف أحد الطرفين للآخر عن تكوينه الجنسى . وأوضح حالة من هذا النوع حالة الفتاة جيلى ابنة أخت

هتلر ، إذ انتحرت عقب فترة قصيرة من التغزل فى خالها المحبوب . فإذا أدخلنا فى حسابنا هذه الاعتبارات جميعا وآراء كبار علماء النفس وخبرتى الخاصة ، فإننا ننتهى إلى هذه النتيجة ، وهى أن حياة هتلر الجنسية كانت متأخرة النمو وكانت ذات اتجاه انثوى (ربما كان مازوخيا) . فلعل هذا الوراء النفسى أن يساعد فى المستقبل أحد الباحثين على تعيين شخصية هتلر من حيث هو إنسان . وأقول من حيث هو إنسان لا من حيث هو فوهرر . فإن حصول الرجل على شخصيته كزعيم يقتضى أن يتوفر لديه شىء خاص ، يختلف عن الذكاء وعن الخلق ، ألا وهو قوة الإيحاء .

ولا يسمح المجال هنا بالإفاضة فى الحديث عن القدرة الإيحائية ؛ ويجب أن نعترف بأن العلم لا يعرف ألا النذر اليسير عن هذه القدرة الغامضة . وهى إما أن يحملها المرء وإما إلا يحملها . ومن كانت له مثل هذه الشخصية فإنه يسيطر فى الجماعة الصغيرة كما يسيطر فى الحياة العامة . فهى موهبة تجلب النجاح فى كل خطوة فى الحياة . فالطبيب ذو القدرة الإيحائية يسعى الناس إليه بغض النظر عن كفاءته كطبيب ؛ ورجل الأعمال ذو القدرة الإيحائية بائع ممتاز ؛ والمرأة إذا كانت لديها هذه القدرة فإنها تصبح قبلة الأنظار . وأيا ما كانت مهارة المرء السياسية ، فإنه لن يستطيع أن يكون زعيما ما لم يستطع التأثير فى الأفراد والجماهير . وفى الجموع الغفيرة تزداد قوة الإيحاء ؛ فتصبح أحمق النداآت ، وأكثرها تناقضاً ، وأغبى الأقاصيص وأكثرها افتياتا على الحقيقة موضوعاً للإيمان والحماس . وفى هذه الموجة من التصديق السريع الساذج ، كما يوحى به رجل فرد ، نجد العقل وقد أطيح به إلى غير رجعة . هذا هو الجو ... الذى أقيمت فيه ديانات وممالك ودمرت فيه هذه الديانات وهذه الممالك ؛ وفى مثل هذه الظروف كانت الأمهات الأوربيات يرسلن أبناءهن أيام الصليبيين إلى موت محقق فى آسيا باسم « القبر المقدس » ، ... وفى مثل هذه الظروف أيضا تساق الشعوب الآن نحو الحرب .

إن ما نعرفه عن الإيحاء الموجّه نحو الجماهير هو أثره فحسب ، أما عن أسبابه فلا نعرف شيئاً . ولقد عقدت محاولات كثيرة لإيجاد صلة بين الجنسية والقدرة الإيحائية ، وهناك عدة حقائق تدعم هذا الرأى ، ولو أننى لا أستطيع القول بأنه صحيح أم غير صحيح . وخبرتى لا تتعدى التعرف على بقال ... كان

يبدو كنبى وكان له بضع مئات من المريدين .فإذا شهد شاهد هذه الأمور ولم يتأثر بها فإن الدهشة تستولى عليه ، أما المؤمن فإنه يتقبل أكثر الأمور سخفاً وأشدها ضرراً ، يتقبلها باعتبارها مقدسة ولا يساوره الشك فى صحتها . ولقد اشتركت ذات يوم فى طقس من طقوس هذا البقال وطائفته فبدأوا بهدوء ، ولكن شيئاً فشيئاً وصل الجميع إلى غيبوبة ، الرجال القلائل والعنصر النسائى الغالب ؛ فقد استلقى الجنسان على الأرض بطريقة هستيرية (فبين الإيحاء والهستيريا صلات وثيقة) وظلوا حيث هم حتى أيقظهم سيدهم بضربهم « بالقضيب المقدس » . أما الحالات المستعصية فكانت تؤخذ إلى حجرة السيد الخاصة حيث كان يعالجهم بالقضيب كلا على حدة . وذات يوم كشفوا لى عن طبيعة هذا القضيب عند ما زارنى « النبى » مصحوباً بتلميذة تحمل فى أحشائها جنينا .

ومن المحقق أن قرائى سيذكرون بهذه المناسبة راسبوتين المشئوم ، الذى كان يستطيع بقدرته الإيحائية وحدها ، أن يغلق الأوعية الدموية لدى ولى العهد المريض . ولقد تظهر هذه القدرة ، بما لها من آثار هائلة ، عند المجتهدين كما تظهر عند الأغبياء، وعند الأخيار كما تظهر عند الأشرار ، وعند الأصحاء كما تظهر عند المرضى .وعند العقلاء كما تظهر عند المجانين ؛ ولكن إذا أنت تناولت انفصامياً يعانى من حصار قوى ، فأضفت إليه القدرة الإيحائية ،فإنك تحصل على أدولف هتلر .

ولقد كانت معرفتنا بالأسرار الدفينة لأعضاء الحزب النازى وما لدينا من وثائق أخرى — فقد كان بين أيدينا حوالى أربعين ألفا من الاعترافات والخطابات البالغة الأهمية — سببا فى التدمير الشامل « لمعهد الدراسات الجنسية » . أما حياتنا نحن الأطباء الذين كنا نعمل فى ذلك المعهد فقد تهددتها الأخطار أيضاً ، ولكن الأصدقاء الأوفياء هم الذين مكنونا من عبور الحدود . وأذكر أنى أنا شخصيا عبرت الحدود يوم أحد ، وفى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى قصد الجستابو إلى بيتى للقبض على . فلما عجزوا عن اعتقالى ، أحرقوا كتبى . ولكن يانفس ، صبراً .

ولقد ساءلت أمى ذات يوم ، إذا كانت ترى هتلر رجلا عظيما أم لا تراه ، فأجابتنى تقول : « لست أدرى . ولكن أمراً واحداً أدريه — فلو أننى حملت ميزانا ووضعت فى إحدى كفتيه ما جلبه من سعادة ووضعت فى الأخرى ما أثاره من دموع ، فلا شك عندى أن الأخيرة راجحة . فلا تسألنى ياولدى ، أكان عظيما هذا الرجل » .

ترجمة : مصطفى اسماعيل سويف